# الإنسجامُ الصَّوتيُّ في سُورةِ الزَّلزَلةِ

حازم كريم عباس الكلابي

جامعة القادسية – العراق

## فحوى البحث

كان السيد الباحث قد نشر في العدد الرابع عشر من المجلة بحثاً تعرض فيه لموضوعة (الانزياح الاستفهامي في سورة يوسف واثره في الابداع الفني في القرآن).

و كمثل اخر لهذا الابداع الفني، عرض في بحثه الراهن صورة اخرى من صور الفن الايقاعي في القرآن، فاختار سورة (الزلزلة) المباركة والتي امتازت كلماتها ومقاطعها وفواصلها بنمط متميز في الانسجام الصوتي، ليثبت للبحث العلمي ما تَفَرَّدَ به القرآن من اسلوب وايقاع لم يُعرف له مثيلٌ في اساليب العرب.

المقدمة:

لاشكّ في أنّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الفريدة التي لم يعرف لها مثيل، وليس من سبيل الى انكارها، والتي مازال سلطانها قويا على النفوس، مقنعا للعقول، وممتعا للعواطف. ولا شكّ أيضا في أنه تَفَرَّدَ باسلوب خاص، وبإيقاع لم يعرف له مثيل، حتى بلغ أعمق مواطن التأثير في النفس البشرية، هذه النفس التي تؤثر فيها الصورة الموسقة أكثر مما تؤثر الكلمة العادية المجردة، وترتاح إلى الإيقاع وتأنس به وتنفعل، وتتناغم معه وتتجاوب. و يلاحظ في هذا الشأن أن الإيقاع القرآني لا يعني الجناس، و الفاصلة و التكرار و غيرها من مظاهر الانسجام الصوتي، بل يتعداها إلى الصيغ الصرفية و أوزان الكلمات أيضا، أي ما يدخل ضمن البنية الخارجية والداخلية. غير أنّ مايهمنا في هذا البحث هو الانسجام الصوتي وما يحدثه من أثر واضح في جمالية النص الكريم؛ ولأجل ذلك جاءت الدراسة هنا لبيان تضافر الأصوات و الكلمات و الجمل في الدلالة على روعة الإبداع و جمال النظم والتأليف، و حلاوة الإيقاع، لترسم بذلك صورة تدل على المعنى و توحي به، و لتعلن بصدى ترجيعها الانسجام الموسيقي الذي يولِّد الانسجام النفسي عند المتلقي ويزيد من التأثير في أعماقه.

ومن الجدير بالاهتمام أن موسيقى الشعر في العصر الجاهلي لم تكن تكمن في أوزانه وجمال إيقاعه، بل في انتقاء الألفاظ الرشيقة التي تخدم المعنى، و بطاقتها الشعرية التي تؤلف مناخا موسيقيا، تهتز له القلوب و تصفو له الآذان، ومع ذلك فقد أفحم القرآن شعراء العرب و عجزوا عن أن يأتوا بمثله، ذلك أنّ موسيقية اللغة العربية بلغت ذروتها في التركيب القرآني البديع الذي تنسجم وتتناسق المعاني والافكار مع النغمات والجرس في أحسن تناسق واكمل انسجام.

تقديم:

الانسجام لغة:

سجم: سَجَمَتْ العينُ الدمعَ والسحابةُ الماء تَسْجِمُه وتَسْجُمُه سَجْماً

وسُجُوماً وسَجَماناً: وهو قَطَران الدمع وسَيَلانه، قليلاً كان أَم كثيراً، وكذلك الساجِمُ من المطر، والعرب تقول دَمْعٌ ساجِمٌ. ودمع مَسْجوم: سَجَمَتْه العين سَجْماً، وقد أَسْجَمَه وسَجَّمَه. والسَّجَمُ: الدمع. وأَعْيُنٌ سُجُومٌ: سَواجِمُ؛ قال القطامي يصف الإبل بكثرة أَلبانها:

**ذَوارِفُ عَيْنَيْها من الحَفْلِ بالضُّحى**
**سُجُومٌ كتَنْضاح الشِّنان المُشَرَّبِ**

وكذلك عين سَجُوم وسحاب سَجُوم. وانْسَجَمَ الماءُ والدمع، فهو مُنْسَجِمٌ إذا انْسَجَمَ أَي انصب[1].

اما في الاصطلاح فيُراد عادة بالانسجام (COHERENCE): ذلك التماسك والاتساق الشديد بين الأجزاء المشَكِّلة لنصّ ما، وهذا التماسك يتأتّى من خلال وسائل لغويّة وصوتية تربط بين العناصر المشكلة للنص[2]، وهذه الوسائل اللغوية تخلق النصيّة، بحيث تساهم في وحدة النص الشاملة[3]، وتؤوله لكي يُعدّ نصاً، فإن انعدمت أو ضعفت افتقر الملفوظ إلى النصّية، أو ضعفت نصيته، ومن ثمّ افتقر إلى الاتساق والانسجام[4].

**أولا: الانسجام في التكرار:**

يعدّ التكرار من الأساليب الفنية في التعبير الأدبي، ومن أعمق ظواهر الحياة[5]، وهو أسلوب تعبيري قديم قدم العربية، ولهذا كثر في أساليب العرب قبل الإسلام، ومثّل أحد أساليب التعبير القرآني، وقد تحدث البلاغيون، وكشفوا عن أشكاله، واستنبطوا حدوده[6]. وهو في التعبير الأدبي يعني تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغماً موسيقياً، يتقصّده الأديب

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور باب سجم.
(٢) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي، ط١، ١٩٩١م، المركز الثقافي العربي، بيروت: ١٥.
(٣) لسانيات النص: ١٣.
(٤) قصيدة الوقت لأدونيس (ثنائية الاتساق والانسجام)، سامح رواشدة، مجلّة دراسات الجامعة الأردنية، مج٣، ع٣، ٢٠٠٣، ص: ٥١٧.
(٥) ينظر: المرشد الى فهم أشعار العرب لعبد الله الطيب: ٢/ ٥٣.
(٦) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١/ ٢٣٦-٢٣٧.

في شعر أو نثر[٧]، و يعمدُ اليه لتقوية ناحية الإنشاء أي: ناحية العواطف، كالتعجب، والحنين، و الاستغراب، وما إلى ذلك[٨].

وقد درس البلاغيون العرب هذه الظاهرة وتنبهوا إليها عند دراستهم لكثير من الشواهد؛ شعريةً كانت أو نثرية، وبيّنوا فوائدها ووظائفها[٩]، فجاءت دراسة هذه الظاهرة محاولةً لكشف واستكناه هذه القوالب الفنيّة لبيان أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها سواء أكان في الصوت أو الكلمة أو الجملة.

والتكرار في الاصطلاح هو ((تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرّة في سياق واحد لنكتة إما للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر))[١٠]، و((أكثر ما يقع في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل))[١١] فيتحدد مفهوم التكرار في أبسط مستوى من مستوياته بأن ((يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده. وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس وكذلك إذا كان المعنى متحداً وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين))[١٢].

ويعدّ التكرار وسيلة مهمة لفهم

(٧) ينظر: جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب للدكتور ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م: ٢٣٩.

(٨) ينظر: المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٢/ ٤٥.

(٩) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م: ٢/ ٧٣، الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٢١٢، المثل السائر لابن الأثير: ٢/ ٣٤٥.

(١٠) أنوار الربيع في أنواع البديع، لابن معصوم، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ط١، ١٩٦٩م: ٥/ ٣٤-٣٥.

(١١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ٧٣.

(١٢) معجم النقد العربي القديم: ١/ ٣٧٠.

النص الأدبي، وله معان تفيض عن التقرير وتقوية جوانب الخطاب في العمل الأدبي، ويتضمّن إمكانات تعبيرية لا يتضمّنها أسلوب آخر، اذ يغني المعنى ويرفعه الى مرتبة الأصالة[١٣]، ويثري العاطفة ويرفع درجة تأثيرها، ويركِّز الإيقاع ويكثّف حركة الترديد الصوتي في النص[١٤]. ويمنح النص جمالا موسيقياً.

والتكرار في الخطاب الأدبي وحدةٌ لغوية غير جامدة المعنى، اذ تكتسب هذه الوحدة اللغوية المكررة معنى مضافا إلى معناها الأوّل، يعيِّنه السياق الذي ترد فيه، والكلمة وإن تكررت هي نفسها إلا أنها لا تحمل معناها الكلي في حالة التكرار؛ لأن الخطاب الأدبي لا يعرف التكرار الدلالي المطلق، والتكرار الكلي في نصٍّ فني مستحيل[١٥]، لذلك نراه يتجاوز الوظيفية التأكيدية الإفهامية ليصبح تقنيّةً جماليةً تختلف درجتها وطريقتها من نص لآخر، بل نجده يتلون ويتغير في النص نفسه، مرتديا في كل مرة مسوحا مختلفة حتى عند الأديب الواحد عينه، وهو ليس مجرد تقنية بسيطة ذات فائدة بلاغية أو لغوية محدودة، إنما هو ((تقنية معقدة تحتاج إلى تأملٍ طويلٍ يضمن رصد حركيّتها وتحليلها))[١٦]، لاسيما اذا استعملت لأغراض يتقصّدها المتكلم للتأثير في المتلقي وجذب انتباهه والتأثير فيه.

وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية ((هو تقرير المكرر وتوكيده واظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين))[١٧]، لذلك هو

(١٣) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، ط٢-١٩٨٣م: ٢٦٣.

(١٤) ينظر: البنية الايقاعية في شعر عزّ الدين المناصرة، اعداد محمد بن أحمد وآخرون، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، القدس، ١٩٩٨م: ٨٣.

(١٥) تحليل الخطاب الشعري: (البنية= =الصوتية في الشعر، الكثافة، الفضاء، التفاعل)، محمد العمري، ط١، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء المغرب، ١٩٩٠م: ٩٠.

(١٦) الإيقاع في الشعر العربي الحديث في العراق، ثائر عبد المجيد العذاري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٩٨٩م: ٢١٨.

(١٧) خصائص التعبير القرآني وسماته=

لا يقوم فقط على مجرد التكرار وإنما ما يتركه من أثر انفعالي في نفس المتلقي، وبذلك فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الذي ورد فيه، فكل تكرار يحمل في أثنائه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الأدبي.

وبما أن الجمال يقوم على الانسجام، وان الانسجام كله مداره على التنويع والتكرار؛ لذا فإنّ التكرار يمثل إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الأديب على تكوين موقفه وتصويره، فتتشكل بأشكال مختلفة متنوعة، إذ تبدأ من الصوت وتمتد إلى الكلمة فالجملة، وكل شكل من هذه الأشكال يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للتكرار انطلاقاً من معطياتها ومستويات أدائها وتأثيرها، فضلاً عن أثرها الدلالي التقليدي الذي أطلق عليه تسمية التوكيد.

=البلاغية، د عبد العظيم ابراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ١/ ٣٢٢.

أ. **تكرار الصوت:**

الأصوات اللغوية معقّدة إلى أقصى حدّ، فهي ((ذات جوانب متعددة وخصائص متباينة))[١٨]، ومن الصعب إخضاع تكرارها لقواعد نقدية ثابتة يمكن إعمامها على النص الأدبي، وإنما ((تبقى دراستها ذوقية لا تملك البرهنة لإثبات وجاهتها))[١٩]، لاختلاف دلالة الحرف التي يحدثها ضمن السياق في النص الواحد.

وعلى الرغم من أنّ تكرار الصوت يحدث نغمة موسيقية لافتة للنظر، لكنّ وقعها في النفس لا يكون كوقع تكرار الكلمات[٢٠]، ومع هذا فالصوت ذو الرنين غير المحدد ((يتحوّل الى كلام مفصّل محدّد، مهمته أن يعبِّر عن تصورات وأفكار، ويكون علامة

(١٨) علم اللغة العام (الاصوات)، للدكتور كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧٠م: ٢١٦.

(١٩) تحليل الخطاب الشعري: ٣٦.

(٢٠) التكرار في الشعر الجاهلي دراسة اسلوبية، د. موسى ربابعة، مجلة مؤته، م٥، ع١، ١٩٩٠ م: ١٦٧.

على باطنٍ روحي))[٢١]، وتكرار هذا النوع والترديد الصوتي له تمنح الإيقاع الموسيقي سرعة، معبّرةً عن دلالة الانفعال[٢٢]، فيكسب النصّ تأثيرا كبيرا في المتلقي، و يسهم في تهيئته للدخول في أعماق الكلمة[٢٣]. ولا شكّ في ((ان العنصر الذي يتردد أقوى من العنصر المفرد))[٢٤] وبذلك يكسب حضوراً وتأثيراً في نفس المتلقي فيجعل من التكرار وظيفة جمالية ووسيلة إلى إثراء الموقف وشحذ الشعور إلى حد الامتلاء[٢٥].

ومن الاصوات التي كررت بشكل ملفت للنظر في سورة الزلزلة صوت الهمزة وصوت المد (الالف) والراء، اما الهمزة فهي صوت ((لا بالمهموس ولا بالمجهور))[٢٦]، أي صوت مائع ينتقل من حالة الجهر الى الهمس أو العكس تحت تأثير الأصوات المجاورة[٢٧]، فـ((الأوتار الصوتية عند نطقها تكون في وضع بين بين، أي بين الانزلاق والانفتاح))[٢٨]، ويسمى انفجاريّا لان في نطقه ((تسدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بهمزة القطع، وذلك بانطباق الوترين أدنى الحنجرة انطباقا تاما، فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة، ثمّ ينفرج الوتران فيخرج الهواء محدثا صوتا انفجاريا شديدا))[٢٩]، لذا يستعمله المتكلِّم للتعبير عن بعض الانفعالات

(٢١) فلسفة الجمال والفن عند هيجل: ٥٥.
(٢٢) ينظر: الزمن في شعر الرواد. رسالة ماجستير، سلام كاظم الأوسي، كلية التربية، ابن رشد، جامعة، بغداد، ١٩٩٠م: ٢٤٣-٢٤٤.
(٢٣) ينظر: التكرار في الشعر الجاهلي دراسة اسلوبية: ١٦٧.
(٢٤) التكرار في الشعر الجاهلي: ٢٢.
(٢٥) ينظر: التكرار في الشعر الجاهلي: ٣٢.
(٢٦) علم اللغة العام (القسم الثاني: الاصوات): ١٤٢.
(٢٧) ينظر دراسة الصوت اللغوي، للدكتور احمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٤، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ٣٢٤.
(٢٨) استخدامات الحروف العربية (معجميا، صوتيا، صرفيا، نحويا، كتابيا)، سليمان فياض، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م: ١٩.
(٢٩) استخدامات الحروف العربية (معجميا، صوتيا، صرفيا، نحويا، كتابيا): ١٩.

النفسية كالغضب والمفاجأة[٣٠]، فنراه مستعينا بانفجارية هذا الصوت عندما يتأوه كقوله (آه، أوّاه، أخ)، او ينادي (أفلان، أيا)، أو يستفهم (أجاء زيدٌ)، او للدلالة على الأمر (أكتب، أدرس، أفعل).

وقد كُرر هذا الصوت في سورة الزلزلة (١٢) مرّة، أي بنسبة ٣٤٪ من مجموع كلماتها التي بلغت (٣٥) كلمة، فأكسب هذا الإيقاع الانفجاري الأداء نغماً حاداً وعالياً يكشف عن لون الانفعالات العالية التي تنسجم وموقف يوم القيامة، اليوم الذي فيه ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الحج: ٢]، فضلا عن صوت الألف -وهو من أصوات المدّ-الذي تناثر بين كلمات السورة بالنسبة نفسها تقريبا (ثلاث عشرة) مرّة، ليحققا معاً تناغماً موسيقياً قويا مع انسيابية فيها نوع من البطء، اذ تكمن ((فاعلية حروف المدّ واللين فيما تحدثه من تنوع في الايقاع بين الارتفاع والانخفاض ينجم عن طولها المقطعي المنساب مع هواء الزفير، ما يبطئ حركة الايقاع، ويهدّئ من توتّره))[٣١]، ونلاحظ أيضا تكرارا بيِّناً وبنسب متقاربة لأصوات: النون و الراء واللام، إذ تتميز النون بأنّها صوت مجهور ذلقي بين الشدّة والرخاوة[٣٢]، ويتميز عن كل الأصوات بغنة جميلة تمنحه عذوبة في النطق و سحرا، وهو من بين أوضح الاصوات في السمع، وقد كرر (١٥) مرّة، أمّا صوت الراء فهو صوت لثويٌّ مجهور بين الرخاوة و الشدة[٣٣]، ويحدث هذا الصوت ((باندفاع الهواء حتى موضع طرف اللسان، فوق اللثة باتجاه الحنك المخطّط، وأغلب

(٣٠) ينظر: في صوتيات العربية، د. محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمّان، من دون ط ت: ٨٣.

(٣١) الاسس الجمالية للايقاع البلاغي في العصر العباسي: ١٥٥.

(٣٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٣ - ٦٤.

(٣٣) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات): ١١٠، ١١٥.

كتلته منخفض، والحنك اللين مرتفع، فيُرعده مرات ويتذبذب الوتران الصوتيان ويسمع صوت الراء))[٣٤].

والصفة المميزة للراء ((هي تكرر طَرْق اللسان للحنك عند النطق بها))[٣٥]، فالتقاء طرف اللسان بحافة الحنك ممَّا يلي الثنايا العليا يتكرَّر في النطق بها كأنَّما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقاً ليناً يسيراً مرتين، أو ثلاثاً[٣٦]، وصفة الجهر فيه تمنح اللفظة التي تحتويه صخبا وقوّة، ولا عجبَ-والأمثال تضرب ولا يقاس عليها -أنّ الرعاة يستعملون قوّة هذا الصوت لمناداة أغنامهم وجذب انتباهها، والسيطرة عليها، أما اللام فهو صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة[٣٧]، وهذه الاصوات يشترك بعضها مع بعض في أنها من أوضح الأصوات الساكنة، وأنها ذلقية مجهورة، الى جانب اشتراكها في المخارج، فتتشكل بهذه التكرارات نغمة صاخبة قويّة منسجمة؛ لأنّ زيادة الأصوات المجهورة في الكلام يضفي على الصورة القوّة، ذلك أن الصوت المجهور يوحي بالحركة و الصخب، كذلك نلحظ في المجهور وضوح الصوت وقوّته؛ ليضفي ذلك على النص صخبا مجلجلا، ينسجم فيها الايقاع القويّ المتباطئ مع المعنى العام والموقف الذي يراد بيانه للسامع، ما أتاح للمتلقي حرِّيّة أكبر للتركيز على المعنى، فعملية تحويل العنصر الصوتي إلى دال مُدرَك عملية قصديّة شُحنت بالتوتر الذاتي بحسب مقتضى الحال، ولا شكّ في أنّ البليغ هو الذي يعمد الى هذا النوع من التكرار لتقوية معنى خاص له علاقة مباشرة بصوت الحرف المكرر[٣٨].

ولا شكّ ايضا أن الانسجام صوتيّا يتجلّى فيما يحمله من معنى، حتى انّ علماء العرب لم يعنوا من كل حرف أنه

(٣٤) في صوتيات العربية: ١٢٩.
(٣٥) الاصوات اللغوية: ٦٦.
(٣٦) ينظر الاصوات اللغوية: ٦٦.
(٣٧) ينظر الاصوات اللغوية: ٦٣.
(٣٨) ينظر: دراسات في الادب العربي، د شاكر هادي التميمي، ط٢، مطبعة البرهان، بغداد، ٢٠٠٨م: ١١٢.

صوت، إنما عناهم من صوت الحرف انه معبِّر عن غرض في سياق، وأن أصوات الكلمة العربية فيها تخصّص في إطار التركيب، فيستقلّ كلّ صوت من أصواتها ببيان معنى خاص مادام يستقلّ بإحداث صوت معيّن، فكلّ صوت له ظل وإشعاع[٣٩]؛ لذلك نرى أن صوت الزاي تكرر في الآية الأولى أربع مرات، وكان من الممكن أن يقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ ... ۝١ وَأَخۡرَجَتِ .... ﴾، فيؤدى المعنى نفسه دون الحاجة الى ذكر (زلزالها)، ولكنّ الموقف استوجب أن يأتي الكلام بهذ الصيغة وهذا التكرار، وبالأخصّ تكرار صوت الزاي المجهور، الذي يعد من أعلى الأصوات وضوحا وصفيرا[٤٠]؛ لانّ مجراه يضيق جدا عند مخرجه فيحدث عند النطق به صفيرا عاليا لا يشاركه في نسبة علو هذا الصفير غيره من الأصوات[٤١]، فعند النطق به يهتز جميع الرأس وكأنه يتزلزل؛ لأنّ الهواء يندفع من الرئتين ماراً بالحنجرة، فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يتّخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل الى المخرج وهو التقاء أوّل اللسان بالثنايا العليا[٤٢]، وبهذا ينسجم هذا الصوت والجو العام للآية الكريمة، والحركة فيها يوحي بها الإيقاع قبل أن يجلِّيها المعنى، بحيث جعل من الصوت صدى للمعنى الذي عُبِّر به عن حالة وجدانية تصيب المتلقي بالدهشة والتأثر، حتى يصبح أسيراً وجزءاً أساسياً من النصِّ الكريم.

**ب. تكرار الكلمة:**

لا شكّ في أنّ لكلِّ كلمة وظيفتها ودلالتها داخل النصِّ الذي يحتويها، فاذا ما كُررت لفتت اليها الانتباه وأكّدت ما جاءت من أجله أوّل مرّة، فضلا عن خلق تناغم موسيقيٍّ بين أجزاء النص، فيعمل هذا التناغم على التنسيق بين الألفاظ ومعانيها؛ لتحقيق الغاية التي يريد البليغ إيصالها إلى الآخرين.

(٣٩) ينظر: البنيات الاسلوبة في لغة الشعر العربي الحديث لمصطفى السعدني، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٧م: ٥٢.

(٤٠) ينظر الاصوات اللغوية: ٦٣.

(٤١) ينظر: الاصوات اللغوية: ٧٣.

(٤٢) ينظر الاصوات اللغوية: ٧٤ – ٧٥.

وقد ورد هذا النوع من التكرار في السورة الكريمة مع قلّته بشكل يسترعي الانتباه، اذ كررت لفظة الأرض مرتين في الآيتين الكريمتين: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ١ -٢]، وكان من الممكن ان يُستغنى عن اللفظة الثانية ويؤدّى المعنى نفسه، فمعنى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ هو نفسه اذا قيل: (اذا زلزلت الارض زلزالها، وأخرجت أثقالها)، ولكن تكرار هذه الكلمة مرّتين قد زاد من قوة المعنى وتأكيده من جانب، وعمل على خلق موسيقى ذي رنين إيقاعي مميز قوامه انتظام الأصوات المفردة وتكرارها في السياق من جانب آخر، فأضفى على سياق النص جمالية موسيقيّة نتيجة أصوات الألفاظ المكررة وتواليها على السمع، وذلك أدّى إلى إحداث رنين موسيقي تدبّ فيه السلاسة والجمال، ما منح النصَّ موسيقى عذبة مؤثرة في المتلقي تجذب الانتباه، وتصغي إليها الأسماع، فضلا عن أدائه مدلولا سياقيا وهو التوكيد، ولا شكّ هنا أنّ وحدة الجرس والإيقاع المنسجم منحت التعبير جمالا وتأثيرا أشد.

**ج. تكرار الصيغة:**

وهو تكرار الصيَغ المتماثلة في مواضع متعددة من العمل الأدبي، وكأنه يُخضع القول لقوانين خفيّة يلتزم بها الأديب بتكرار بعض عباراته أو أغلبها، فيتّخذ من تكرار هذه الصيغ وبعض المفردات مرتكزاً صوتياً يشعر الأذن بالانسجام والتوافق والقبول، فيضفي على النصِّ إيقاعا متوازنا يزيد من التطريب والتناغم الموسيقي، ما يجعله أكثر إمتاعا وتأثيرا في المستمع.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [سورة الزلزلة: ٧-٨]، اذ تكررت هنا الصيغة في الآيتين الكريمتين وهي:

الفاء + مَن + الجملة الفعلية (يعمل)+ المضاف والمضاف اليه (مثقال ذرة) + أسم + الجملة الفعلية (يره)،

فالآيتان متجاورتان، و متساويتان من حيث الكلمات، و منسجمتان من الناحية الصوتية، و الدلالية، بشكل متداخل و متكامل، لكنهما يختلفان بكلمة واحدة فقط وهي الاسم، اذ جاء في الأولى: (خيرا)، وفي الثانية: (شرا)، ليحمل القول الكريم بهذا التكرار نغمة متراتبة لها وقعٌ خاصٌ على الأذن، ويكتسي القول بحلتين: حلّةٍ موسيقية وهي الإيقاع المتناغم والمتراتب بتكرار الصيغة هذا، وحلّةٍ لفظية باجتماع المتضادات: (الخير، الشر)، ولا شكّ في أنّ الجمع بين الضدين في الأعمِّ الأغلب يكسب الكلام حسناً وطرافه، ويكون أكثر تأثيراً في نفس المتلقي وأشد وقعاً، ما يسبغ على التعبير موسيقى متناغمة متوازنة تشدّ بتراتبيتها المستمع، وتأسره جمالية الصيغة المتكررة وتسترعي منه شديد الانتباه ويبلغ الانسجام بهتين الحلتين ذروته وكماله.

**ثانيا: الانسجام الصوتي في النهايات والفواصل:**

ينماز الأدب عن غيره من الفنون بأنه أقدرها على استعمال أداته للتصوير والتنغيم معاً، والقرآن الكريم بوصفه معجزة التعبير الأدبي في اللغة العربية زيادة على أنه وحي وتنزيل يستعمل الكلمة في قدرتيها هاتين حتى يستنفدهما، ولا ضير عليه في ذلك ما دام يهدف إلى أن يبلغ أعمق مواطن التأثير في النفس البشرية، التي تؤثر فيها الصورة الموسقة وتتناغم معه وتتجاوب، ودليلنا على ذلك أن العربي قد علقت بحافظته الكلمات الموسقة (الشعرية) اكثر من علوق الكلمات النثرية بها.

انّ تشابه نهايات الآيات او الفواصل يحدث نوعاً من التوافق والانسجام الصوتي ((بتقسيم الحدث اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علامات متكررة وذات وظيفة وملمح جمالي))[٤٣]، يتولد منه إيقاع يسهم في إضفاء خاصيّة التطريب التي تمنح النصّ جمالا وإيقاعا، وحلاوة نغمية يقابلها المتلقي

(٤٣) علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٥م: ١٩٩.

بالقبول والارتياح، وإنّ الوقوف على رؤوس الآيات -و لو تعلقت بما بعدها -يدلّ على أن الآية وحدة ترتيلية تساهم في انسجام الخطاب القرآني و تلاحمه مع بعضه البعض، سواء أكانت الفاصلة متشابهة، ام مختلفة.

ومن الفواصل المتشابهة في سورة الزلزلة قوله تعالى: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾[سورة الزلزلة: ١]، ﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ٢]، ﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ٣]، ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[سورة الزلزلة: ٥]، اذ اتفقت فيها الفقرات بشكل تقريبي في الوزن والنهايات (الفواصل)، فاكتسب القول الكريم انسجاما موسيقيا يمنح النصّ متعة تنجذب نحوها النفوس؛ لأنّ ((هذا الاستواء في أوزان الفواصل يجعل للكلام رونقا وطلاوة؛ لما في ذلك من الاعتدال المطلوب طبعا))[٤٤].

إنّ الانسجام في الحرف أو الوزن أو فيهما معا، وبروز صوت بعينه في نهاية كل فاصلة، أو مقطع صوتي وتكراره في أكثر من موضع كما في: (زِلْزَالَهَا، أَثْقَالَهَا،... نُ مَا لَهَا، أَوْحَىٰ لَهَا) يحدث إيقاعاً منسجما متكرراً يتوقعه المتلقي، فينشئ نوعا من التجاوب الصوتي بين النغمة المتوقعة والنغمة البارزة على سطح الصياغة، ما يولد شعورا بالمتعة الإيقاعية، ومن ثمّ يتولد إيقاع يسهم في إضفاء خاصيّة التطريب التي تمنح النصّ جمالا وحلاوة نغمية يقابلها المتلقي بالقبول والارتياح.

ان الانسجام في السورة الكريمة لايعني بقاءها على نهاية واحدة او حرف روي واحد، بل ان توحد الوزن واختلاف الفاصلة في بعضها هو غاية الانسجام والإتساق، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ٤]، فالآية متساوية من حيث عدد الكلمات مع ما قبلها وبعدها، و منسجمة من الناحية الصوتية، و الدلالية، بشكل متداخل و متكامل، لكنها تنفصل عنها من خلال الوقف، فهذا التوحد في الوزن على الرغم من

(٤٤) فن الجناس: ١٢٧.

التقفية المختلفة -ان جاز لنا التعبير- حقق توازنا بين الآيات الكريمات بتوفير الأبعاد الزمنية المتساوية التي يقوم عليها الإيقاع، ما أضفى موسيقى متناغمة متساوية، يستحليها المتلقي، وتطرب لها أذنه، ويديم بها تواصله مع النصِّ الكريم. فالتعادل او التوازن بين فقرات الكلام وجمله، وارتفاع درجة التماثل بين صيغ الجمل، قد يؤدي إلى تعويض بعض التفاوت الصوتي الذي يمكن أن يقع بينهما، بحيث لا يشعر المتلقي به ولا يكاد يتحسسه، وبخاصة إذا كان الصوتان يشتركان في كثير من الصفات الصوتية، أو يتفقان في المخرج، كما في الاية الكريمة (تقارب صوتي اللام والراء في المخرج)، فكان للطَرْق المتشابه على الأذن تأثير جيد تستسيغه الأسماع، ولا تنفر منه القلوب، حتى غطى بتوازنه على ذلك الاختلاف القفوي بين العبارتين، باعثا إيقاعا مؤثرا جاذبا المتلقي إليه، وبأنساقٍ صوتية تكثف الإيقاع داخل النص وتقويه.

فالوزن الواحد يكثِّف الإيقاع ويمنحه قوة ورنينا، و يحمل دلالة شعورية تترك لدى المتلقي إحساسا بالانسجام والوحدة بين العبارتين، ما عمل على حفظ الموسيقى ودفعها للتواصل السمعي بين المتكلِّم والمستمع.